

تفسير البغوي

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ^ص حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ^ج مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ^ج ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ^ص وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ^ق وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

قوله تعالى : (ولقد صدقكم الله وعده) قال محمد بن كعب القرظي : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة من أحد وقد أصابهم ما أصابهم ، قال ناس من أصحابه : من أين أصابنا هذا؟ وقد وعدنا الله النصر فأنزل الله تعالى : (ولقد صدقكم الله وعده) بالنصر والظفر وذلك أن النصر والظفر كان للمسلمين في الابتداء ، (إذ تحسونهم بإذنه) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين ، وهو جبل عن يساره وأقام عليه الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم : احموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشاركونا وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وأقبل المشركون فأخذوا في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيوف ، حتى ولوا هارين فذلك قوله تعالى (إذ

تحسونهم بإذنه) أي تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله . قال أبو عبيدة : الحس : هو

الاستئصال بالقتل . (حتى إذا فشلتم) أي : إن جبنتم وقيل : معناه فلما فشلتم ، (

وتنازعتم في الأمر وعصيتم) والواو زائدة في (وتنازعتم) يعني : حتى إذا فشلتم

تنازعتم ، وقيل : فيه تقديم وتأخير تقديره : حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتم فشلتم

ومعنى التنازع الاختلاف . وكان اختلافهم أن الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون فقال

بعضهم : انهزم القوم فما مقامنا؟ وأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم : لا تجاوزوا أمر رسول

الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة . فلما رأى

خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل ذلك حملوا على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير

وأصحابه ، وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبورا بعد ما كانت صبا وانتقضت

صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا ما يشعرون

من الدهش ، ونادى إبليس أن محمدا قد قتل وكان ذلك سبب الهزيمة للمسلمين . قوله

تعالى : (وعصيتم) يعني : الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفتم أمره ، (من بعد ما

أراكم) الله (ما تحبون) يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة ، (منكم من يريد

الدنيا) يعني : الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب ، (ومنكم من يريد الآخرة) يعني :
الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود : ما شعرت أن أحدا
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية (
ثم صرفكم عنهم) أي : ردكم عنهم بالهزيمة ، (ليبتيكم) ليمتحنكم وقيل : لينزل
البلاء عليكم (ولقد عفا عنكم) يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة ، (والله ذو فضل
على المؤمنين) .